



آداب المساجد

منصور علي عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

قصص آداب الإسلام

٣

قصص آداب المساجد

إعداد

منصور علي عرابي

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org



تَحيَّةُ المَسجدِ

جلسَ رسـولُ اللهِ ﷺ مـعَ أصـحابِهِ ـ رَضِـيَ اللهُ عَـنْهُمْ ـ في المَسجدِ يَوماً لِيُعلِّمَهُمْ أمورَ دينِهِمْ.

وَفي أثناءِ ذلكَ، دخَلَ أبـو قَتَـادةَ رضـي الله عنـه المَسـجدَ، فَرأى رسولَ اللهِ ﷺ جَالساً مع أصحابِهِ يُعلِّمُهُمْ، فذهَبَ أبـو قَتَـادةَ إلى النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ جلسَ مَعَهُمْ.

فَقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: «مَا منَعَكَ أنْ تَركَعَ (تُصَلِّي) ركعـتَينِ قبـلَ أنْ تَجلِسَ»؟.

فَقالَ أبو قَتَادةَ: يَا رسولَ اللهِ، رَأيتُكَ جَالساً والنَّاسُ جُلوسٌ.

فَقالَ ﷺ: «إذَا دَخَلَ أحدُكُمُ المَسجدَ فَليَركَعْ ركعَتينِ قبـلَ أنْ يَجلِسَ» [مسلم].

فمِنْ آدابِ المسَاجدِ، أنَّ المُسلِمَ إذَا دخَلَ المَسجِدَ لا بُـدَّ أَنْ يُصلِّي ركعتَينِ أوَّلاً قبلَ أنْ يَجلِسَ، وهَاتـانِ الرَّكعتَـانِ هُمَـا تَحيَّـةُ المَسجدِ.

الأرضُ كلُّهَا مَسجِدٌ، فأينمَا أدركَتِ المُسلِمَ الصَّلاةُ فَلْيُصلِّ. قَالَ الـنَّبيُّ ﷺ: «جُعِلَتْ لنَا الأرضُ كلُّهَا مَسجِداً، وجُعِلَتْ تُربَتُهَا لنَـا طَهُـوراً إذَا لَمْ نَجِدِ الماءَ» [مسلم].

الجَمَلُ المَفْقودُ

كانَ أحَدُ الأَعرابِ يَملِكُ جَمَلاً أحمَرَ، فَقَدَهُ ذاتَ يَومٍ، فظَلَّ يَبحَثُ عنهُ طوَالَ اللَّيلِ؛ لكنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ.

وَفي صَلاةِ الفَجرِ، ذَهبَ الأعرابيُّ إلى المَسجِدِ، وبعدَ أَنْ أنهَى النَّبيُّ ﷺ صَلاتَهُ بالنَّاسِ، قامَ الأعرابيُّ يَسألُ النَّاسَ عنْ جمَلِه، ويَقولُ بصَوتٍ مُرتَفعٍ: مَنْ دَعَا إلى الجمَلِ الأَحمَرِ (أي: مَنْ وَجَدَ ضَالَّتِي التي فَقَدْتُهَا؛ وَهيَ الجمَلُ الأَحمَرُ، فَدَعاني إليهِ)؟

فلَمَّا رآهُ النَّبيُّ ﷺ يفعَلُ ذلكَ غضبَ ﷺ، وقالَ لهُ: «لا وَجَدْتَ، إنَّما بُنِيَتِ المساجدُ لِمَا بُنِيَتْ لهُ» [مسلم].

ثمَّ بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ لصحابَتِهِ كَراهيةَ السُّؤالِ عَنِ الأشياءِ المَفْقُودَةِ وَالإعلانِ عنْهَا في المَسجِدِ، فَقالَ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنشُدُ (يَسألُ عَنْ) ضَالَّتِهِ في المَسجِدِ، فَليَقُلْ: لا رَدَّهَا اللهُ عليكَ. فإنَّ المساجِدَ لَمْ تُبْنَ لهذَا» [مسلم].

لا يَجُوزُ أَنْ نَبيعَ أو نَشتَرِيَ في المَساجِدِ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إذَا رأيتُمْ مَنْ يَبيعُ أو يَبْتَاعُ (يشتري) في المَسجِدِ، فقُولُوا: لاَ أَرْبَحَ اللهُ تجارَتَكَ» [الترمذي].

الشَّجَرةُ الكَريهَةُ

فِي طريقِ عَودةِ المُسلمينَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبرَ، مَرُّوا علـى أرضٍ بهَا بَصَلٌ، وَثومٌ، وكانُوا جَائِعينَ، فَأكلَ بعضُهُمْ حتَّى شَبِعُوا، ولَمْ يَأكُلِ البَعضُ الآخَرُ، ثُمَّ ذهَبُوا إلى المَسجدِ.

وَفي المَسجدِ نادَى رسولُ اللهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَأكلُوا، لِيُصَلُّوا معَهُ، وأَخَّرَ الذينَ أكَلُوا حتَّى تذهَبَ رائحةُ البصَلِ والثُّومِ مِنْ أفواهِهِمْ.

وبعدَ انتهاءِ الصَّلاةِ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أكَلَ مِنْ هذهِ الشَّجرةِ الخَبيثةِ (ذاتِ الرَّائحةِ الكَريهَةِ) شَيئاً فَلاَ يَقربَنا في المَسجدِ».

فلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذلكَ قالَ بعضُهُمْ: حُرِّمَتْ، حُرِّمَتْ (أي: حُرِّمَ أكلُ البصَلِ والثُّومِ).

وبلَغَ النَّبيُّ ﷺ مَا قالَهُ الناسُ، فَقالَ لَهُمْ: «أيُّهَا النَّاسُ! إنَّهُ ليسَ لِي تَحريمُ مَا أحَلَّ اللهُ لِي، ولَكنَّهَا شَجَرَةٌ أكرَهُ رِيحَهَا» [مسلم].

المُسلِمُ يَحرُصُ علـى نظافـةِ بدَنِـه وملاَبسِـه، خاصَّةً عنـدَ ذهابِـه إلى المَسجدِ، قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١].

الشِّعرُ في المَسجدِ

طلَبَ النَّبيُّ ﷺ من حَسَّانَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه أنْ يُدَافعَ عنْهُ وعَنِ الإسلامِ بالشِّعرِ، وَأقامَ لهُ مِنْبَراً في المَسجدِ، فكانَ حسَّانُ يَقِفُ عليهِ ويَهْجُو الكُفَّارَ. ولَمَّا أصبَحَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه أميراً للمُؤمِنينَ، دخَلَ المَسجِدَ يَوماً، فَوجَدَ حسَّاناً يُنشِدُ الشِّعرَ، فَأشارَ إليهِ بأَنْ يَسكُتَ. فقالَ لهُ حسَّانُ: قَدْ كنتُ أُنشِدُ وفيهِ مَن هُوَ خَيرٌ مِنْكَ.

وأرادَ حسَّانُ رضي الله عنه أنْ يُؤكِّدَ لأميرِ المُؤمِنينَ صِدْقَ ما يَقُولُهُ، فَاستَدْعَى أَبَا هُرَيْرةَ رضي الله عنه وقَالَ لَهُ: أسَمِعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «أَجِبْ عَنِّي (دَافِعْ عنِّي؛ رَدَّاً على هجاء الكُفَّارِ وَسبِّهِمْ)، اللَّهمَّ أَيِّدْهُ (قَوِّه) بِرُوحِ القُدُسِ (وهُوَ جِبريلُ عليه السلام)»؟

فَقالَ أَبو هُرَيرةَ: نَعَمْ. [متفق عليه].

يَجُوزُ إنشادُ الشِّعرِ في المَسجدِ إذَا كانَ شِعراً يَحُثُّ على مكَارمِ الأخلاقِ، أمَّا إذَا كانَ الشِّعرُ كلاماً لا خَيْرَ فيهِ فلاَ يَصِحُّ إنشادُهُ في المَسجدِ.

جِلْسَةُ الشَّيطانِ

كـانَ رَسـولُ اللهِ ﷺ حَريصـاً علَـى تَعلـيمِ أصـحابِهِ الأشـياءَ الطَّيِّبَةَ، وحَريصاً على أنْ يُبعِدَهُمْ عنِ التَّشـبُّهِ بالشَّـيطانِ في أفعالـه جَميعاً، كمَا كانَ ﷺ يحرُصُ على احترامِ المسـاجدِ، فكـانَ يُعلِّـمُ أصحابَهُ كيفيَّةَ الجُلوسِ في المَسجدِ.

وذاتَ يـومٍ كـانَ رسـولُ اللهِ ﷺ يَومـاً مـعَ بعـضِ أصـحابِهِ، فَدخَلُوا المَسجِدَ النَّبويَّ، فإذَا بِرَجُلٍ جَـالسٍ في وسَـطِ المَسـجدِ، وقَدْ ضَمَّ رجلَيهِ إلى بَطنِهِ بِيَديهِ، وشبَّكَ أصابِعَهُ بعضَهَا في بعضٍ.

فلَمَّا رآهُ رسولُ اللهِ ﷺ أشارَ إليهِ كَـي يَفُـكَّ أصـابِعَهُ، ولكِـنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَفْهَمْ تِلكَ الإشارةَ، وظَلَّ مُشبِّكاً أصـابِعَهُ. فَقـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «إذَا كانَ أحَدُكُمْ في المَسجدِ فَلا يُشَـبِّكَنَّ، فـإنَّ التَّشـبِيكَ مِنَ الشَّيطانِ، وإِنَّ أحَدَكُمْ لاَ يَزَالُ في صلاةٍ مَـا كـانَ في المَسـجدِ حتَّى يَخرُجَ منْهُ» [أحمد].

المُسلمُ يَقتدِي بالنَّبيِّ ﷺ عندَ ذهابِهِ إلى المَسجدِ، قَالَ ﷺ: «إذَا تَوضَّأَ أحَدُكُمْ ثُمَّ خرجَ عامِداً (مُتَّجِهاً) إلى الصَّلاةِ، فَـلا يُشـبِّكَنَّ بـينَ يديـهِ؛ فإنَّهُ في صَلاةٍ» [أحمد].

رَفعُ الصَّوتِ في المَسجدِ

حَذَّرَ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه المُسلِمينَ مِنْ رَفْعِ أصواتِهِمْ فِي المَسجدِ النَّبويِّ، ونَهَاهُمْ عن ذلكَ بقَولِهِ: اجتَنِبُوا اللَّغْوَ في المَسجدِ. إنَّ مَسجِدَنَا هذَا لا تُرْفَعُ فيهِ الأصواتُ.

وَذاتَ يومٍ، دخَلَ عُمَرُ رضي الله عنه المَسجِدَ فَوجَدَ رَجُلَينِ لا يَعرِفُهُمَا؛ يتحدَّثَانِ بصَوتٍ مُرتَفعٍ.

وكانَ السَّائِبُ بنُ يَزيدٍ رضي الله عنه نَائماً في المَسجِدِ، فَرَمَاهُ عُمَرُ بِبَعضِ الحَصَى، فَالتَفَتَ السَّائِبُ إلى مَنْ يَرمِيهِ، فَرأَى عُمَرَ، فَنادَاهُ عُمَرُ وقَالَ لَهُ: اذهَبْ فأْتِني بِهذَيْنِ. فَذهَبَ إلى الرَّجُلينِ، وَأخبَرَهُمَا أنَّ أميرَ المؤمنينَ يَطلُبُهُمَا، فلَمَّا حضَرَا إليهِ سألَهُمَا: مَنْ أنتُمَا؟ قَالاَ: فُلانٌ وفُلانٌ؛ مِنْ أهلِ الطَّائفِ.

فَعَلِمَ عُمَرُ رضي الله عنه أنَّهُمَا لَمْ يَعرِفَا بِتحذيرِهِ، فَقالَ لَهمَا: لَو كُنتُمَا مِنْ أهلِ [البلَدِ] لأوجَعتُكُمَا (أي: ضَربتُكُمَا ضَرباً شَديداً)؛ تَرفَعانِ أصواتَكُمَا في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ؟! [البخاري].

المُسلِمُ يكونُ في المَسجدِ خاشعَ القلبِ، ولاَ يتحَدَّثُ بكلامٍ فاحِشٍ وَلا بذيءٍ، ويَذكُرُ اللهَ بصوتٍ مُنخَفضٍ، حتَّى لا يَشغَلَ المُصلِّينَ وَالذَّاكِرينَ عن عِبادتِهِمْ.

طَهارةُ المَسجدِ

ذاتَ يومٍ كانَ رسـولُ اللهِ ﷺ جالِسـاً في المَسـجدِ ومعَـهُ بعـضُ أصحابِهِ.

وَأثناءَ ذلكَ دخَلَ رَجلٌ أعـرابيٌّ، وَاتَّجَـهَ إلى ناحِيَـةٍ مِـنْ نَـوَاحِي المَسجدِ، ثُمَّ وقفَ يَتَبوَّلُ.

فلَمَّا رأى الصَّحابةُ ــ رَضِـيَ اللهُ عَـنْهُم ـ ذَلِـكَ صَـاحُوا بالرَّجُـلِ وَزجَرُوهُ، وقَامُوا إليهِ ليَمنَعُوهُ، فَأمَرَهُمُ الرَّسولُ ﷺ أنْ يَترُكُوهُ.

فلَمَّا انتَهَى الرَّجلُ مِنْ بَولِهِ ناداهُ الـنَّبيُّ ﷺ، وقَـالَ لَـهُ: «إنَّ هـذهِ المَساجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشيءٍ مِنْ هذَا البَولِ ولاَ القَذَرِ، إنَّما هِـيَ لِـذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وَالصَّلاةِ، وقِراءةِ القُرآنِ».

ثمَّ أمَرَ النَّبيُّ ﷺ بِدَلوٍ مِنَ الماءِ، فَصُبَّ على مكانِ البَولِ. [متفـق عليه].

وهكذَا يُعلِّمُنَا النَّبيُّ ﷺ ضَرورةَ طهَارةِ المَكانِ الـذِي يُصـلِّي فيـهِ المُسلِمُ.

أمَرَ النَّبيُّ ﷺ بطَهارةِ المَساجدِ، فَلا يَجوزُ التَّبوُّلُ في المَسجدِ أوِ البَصْقُ أو مِثلُ ذلِكَ، قالَ ﷺ: «البُصَاقُ في المَسجدِ خَطِيئةٌ، وكفَّارَتُهَا دَفْنُهَا» [مسلم].

تَنظِيفُ المَسجدِ

فِي عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كانَتْ هنـاكَ امـرأةٌ تَقُـومُ بتَنظيـفِ المَسجدِ ورِعايتِه.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يَعطُفُ عليهَا، ويَسأَلُ عن حالِهَا؛ تَعظِيمـاً لشَأْنِهَا، وشُكراً لهَا على عمَلِهَا.

وذاتَ يَومٍ، دخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَسجِدَ فَلَمْ يَجِـدْهَا، فسـأَلَ عنْهَا، فقالُوا: مَاتَتْ. وَأخبَرُوهُ أنَّهُـمْ قـامُوا بتَغسـيلِهَا وَالصَّـلاةِ عَليهَا ودَفْنِهَا. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أفَلاَ كُنْـتُمْ آذَنْتُمُـونِي (أي: أعلَمْتُمُونِي قبلَ دَفنِهَا)؟».

ثُمَّ قالَ ﷺ: «إنَّ هذهِ القُبورَ مَمْلوءَةٌ ظُلْمـةً علـى أهلِهـا، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنوِّرُهَا لَهُمْ بصَلاَتِي عَليهِمْ» [مسلم].

وقَدْ فعَلَ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ معَ هذِهِ المَرأةِ لأنَّهَا كَانَـتْ تَقُـومُ بعَملٍ عَظيمٍ، وهُوَ نظافَةُ المَسجدِ ورِعَايَتُهُ.

حَثَّ النَّبيُّ على بناءِ المَساجدِ، وتَطْييبِهَا وتَنظيفِهَا، وَالقيامِ على أمرِهَا. فقالَ ﷺ: «ابنُوا المساجدَ، وأخرِجُوا القُمَامةَ منْهَا» [الطبرانِي].

الثَّوابُ العظيمُ

كَانَ رَجلٌ مِنَ الأنصارِ يَسكُنُ بَعيداً جِدّاً عَنِ المَسجدِ، ومعَ ذلكَ فكانَ يَحرِصُ على الصَّلاة خَلْفَ رسُولِ الله ﷺ، وَلا يتَخَلَّفُ عَن حُضورِ الجمَاعةِ في كُلِّ وَقتٍ، مِمَّا جعَلَ النَّاسَ يُشفِقُونَ عليهِ.

فَعرَضَ عَليهِ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رضي الله عنه أنْ يَشتَرِيَ حِماراً يَرْكَبُهُ، لِيَقِيْهِ السَّيرَ في الحَرِّ الشَّديدِ على الرِّمالِ.

فَقالَ الرَّجلُ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنزِلِي إلى جَنْبِ المَسجدِ، إنِّي أُرِيدُ أن يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسجدِ ورُجُوعِي إذَا رَجَعتُ إلى أهلِي (أي: يكتُبُ اللهُ لِي ثوابَ كلِّ ذلكَ).

فأخبَرَ النَّاسُ رسُولَ الله ﷺ بمَا يَقولُ، فَقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: «قَدْ جمَعَ اللهُ لكَ ذلكَ كلَّهُ (ثوابَ كلِّ ذلكَ)» [مسلم].

المُسلِمُ يَدخُلُ المَسجدَ برِجْلِهِ اليُمنَى، ويَقولُ: «اللَّهمَّ افتَحْ لِي أبوابَ رحمَتِكَ». ويَخرُجُ برِجْلِهِ اليُسرَى، ويَقولُ: «اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ مِنْ فَضلِكَ» [مسلم].

وَقتُ الصَّلاةِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ يَحرَصُ على أصحابِهِ حِرْصاً شَديداً، ويَحُثُّهُمْ على الأفعالِ الطَّيِّبةِ، وَالبُعدِ عن مَداخِلِ الشَّيطانِ، لذَا أمَرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ بِأَنْ لاَ يَخرُجَ أحَدُهُمْ مِنَ المَسجدِ إذَا مَا أَذَّنَ المُؤذِّنُ للصَّلاةِ إلاَّ بعدَ أَنْ يُؤدِّيَ الصَّلاةَ التي حانَ وَقتُهَا.

وذاتَ يومٍ، كانَ أَبو هُرَيْرةَ رضي الله عنه جَالِساً في المَسجدِ النَّبويِّ.

وكانَ في المَسجدِ مَجموعةٌ مِنَ الصَّحابةِ وَالتَّابِعينَ، فحانَ وقتُ الصَّلاةِ، فأَذَّنَ المُؤذِّنُ.

وَفي أثناءِ الأذَانِ، قامَ رَجلٌ لِيَخرُجَ مِنَ المَسجدِ، فأخَذَ أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[يَقولُ] وهُوَ يُشيرُ إليهِ: أمَّا هذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا القاسِمِ ﷺ. [مسلم].

إذَا كانَ الإنسانُ في المَسجدِ، وحَضَرَتِ الصَّلاةُ، وأذَّنَ المُؤذِّنُ، فمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَنتَظِرَ، ولاَ يَخرُجَ مِنَ المَسجدِ إلاَّ بعدَ أداءِ الصَّلاةِ.

مَسجِدُ المُنافِقِينَ

كانَ أَبو عَامرٍ الرَّاهِبُ مِنْ أشَدِّ النَّاسِ عداوةً للرَّسول ﷺ، فلَمَّا انتَشَرَ الإسلامُ، هرَبَ إلى بلادِ الرُّومِ وأرسَلَ إلى بَعضِ أعوانِهِ مِنَ المُنافِقينَ يُخبِرُهُمْ بأَنْ يتَّخِذُوا مَقرّاً لَهُمْ، وبأنَّهُ سَوفَ يأتِي بجَيشٍ مِنَ الرُّومِ يُقاتِلُ بهِ مُحمَّداً، وَيخرِجُهُ مِنَ المَدينةِ.

فقامَ المُنافِقُونَ ببناءِ مَسجِدٍ؛ لِيكُونَ مَقرّاً يُدَبِّرُونَ فيهِ مكائِدَهُمْ، ثُمَّ ذهَبُوا إلى النَّبيِّ ﷺ وَطلَبُوا مِنْهُ أن يُصَلِّيَ فيهِ، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ خَارِجاً إلى غَزوةِ تَبُوكَ، فأجَّلَ الذَّهابَ إليهِمْ حتَّى يَعودَ.

وأخبَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّهُ ﷺ بما عزَمَ عليهِ المُنافِقُونَ، قَالَ تَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠٧].

فَاستجابَ النَّبيُّ ﷺ لأمرِ اللهِ، وَأمرَ بهَدمِ المَسجدِ وإحراقِهِ.

يُكرَهُ التَّباهِي وَالتَّفاخُرُ في بناءِ المساجدِ وَتشييدِهَا، قَالَ رسُولُ ﷺ: «مِن أشراطِ السَّاعةِ (علاماتِ قُربِهَا) أنْ يَتَباهَى النَّاسُ في المساجدِ» [أبو داود].

المَشْيُ إلى المَسجدِ

كَانَ بنُو سَلَمةَ يَسكنُونَ في دِيارٍ بعيدةٍ جِداً عَنِ المَسجدِ النَّبَوِيِّ. فكانُوا يُعَانُونَ مِنْ كَثْرةِ المَشْيِ عندَ ذَهابِهِمْ إلى المَسجدِ؛ أو عَودتِهِمْ منْهُ.

وذاتَ يَومٍ، أرادَ بنُو سَلَمةَ [أَنْ] يَبِيعُوا دِيارَهُمْ ويَنتَقِلُوا إلى جِوَارِ المَسجدِ، فَبَلَغَ ذلكَ رسُولَ الله ﷺ، فَدَعَاهُمْ، وقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ قَدْ بلغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا إلى المَسجدِ». قَالُوا: نَعَم يَا رسولَ الله. قَدْ أردْنَا ذلكَ.

فَقالَ لَهُمْ رسُولُ الله ﷺ: «يَا بَنِي سَلَمةَ؛ دِيارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ» (أي: ابقُوا في دِيارِكُمْ يكتُبُ اللهُ لكُمْ ثوابَ ذَهابِكُمْ وَعَوْدَتِكُم)، وكرَّرَهَا النَّبيُّ ﷺ مَرَّتينِ أو ثلاثةً.

ثُمَّ قالَ لَهُمْ أيضاً: «إنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خُطْوةٍ دَرَجةً».

فَرَضِيَ بنُو سَلَمةَ، وظَلُّوا فِي دِيارِهِمْ، وكَانُوا يَقولُونَ: مَا كانَ يَسُرُّنا أنَّا كنَّا تَحوَّلْنَا. [مسلم].

المَشْيُ إلى المَسجدِ له فَضْلٌ كبيرٌ عندَ الله عزَّ وجلَّ، قَالَ ﷺ: «حينَ يَخرُجُ الرَّجُلُ مِنْ بَيتِهِ إلى مَسجِدِهِ، فَرِجْلٌ تَكتُبُ حسَنةً، ورِجْلٌ تَمْحُو سَيِّئةً» [النسائي].

ذِكْرُ اللهِ

دَخَلَ مُعاويةُ بنُ أَبي سُفيانَ رضي الله عنه المَسجِدَ، فوجَدَ فيه جماعةً مِنَ النَّاسِ جالِسينَ على شكلِ حَلقَةٍ، فَسألَهُمْ: مَا أجلَسكُم؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذكُرُ اللهَ. فقالَ لَهُمْ: آللهِ؛ مَا أَجْلَسَكُمْ إلاَّ ذاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. فقالَ مُعاويةُ: أمَا إنِّي لَمْ أستحْلِفْكُمْ تُهمَةً لَكُمْ، وَلكِنْ بَلَغَنِي أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخَلَ المسجِدَ يَوماً، فوجَدَ مَجموعةً مِنْ أصحابِهِ جَالسِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ، فَقالَ لَهُمْ: «مَا أجلَسكُمْ؟». قَالُوا: جَلَسْنَا نذكُرُ اللهَ ونَحمَدَهُ على مَا هَدَانَا للإسلامِ ومَنَّ بِهِ علينَا. فقالَ ﷺ : «آللهِ مَا أجلَسَكُمْ إلاَّ ذاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أجلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. فقالَ ﷺ : «أمَا إنِّي لَمْ أستحْلِفْكُمْ تُهمَةً لَكُمْ، وَلكِنَّهُ أتَانِي جِبريلُ فأخبَرَنِي أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُبَاهِ بِكُمُ المَلائكةَ» [مسلم].

فَاللهُ عزَّ وجلَّ يُبَاهِي الملائكةَ بِالعَبدِ المسلمِ الذِي يَجلِسُ فِي المَسجدِ؛ يَذكُرُ اللهَ، ويَتعلَّمُ أمُورَ الدِّينِ.

خَصَّ اللهُ ثلاثةَ مساجدَ في الأرضِ بالفَضلِ العَظيمِ، قَالَ ﷺ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحالُ إلاَّ إلى ثلاثةِ مساجدَ: مسجدِ الحَرَامِ، ومسجدِي هذَا، ومسجدِ الأقصَى» [متفق عليه].

مِيراثُ النَّبيِّ ﷺ

لاحَظَ أبو هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّاسَ قَدِ انشَغَلُوا بالبَيعِ وَالتِّجارةِ، وَتركُوا حَلَقاتِ العِلْمِ في المَسجِدِ، وذلكَ بعدَ وَفاةِ الرَّسولِ ﷺ، فحَزِنَ أبو هُرَيرةَ حُزْناً شَديداً.

وفِي يَومٍ مِنَ الأيَّامِ، مَرَّ أبو هُرَيرةَ رضي الله عنه بِالسُّوقِ، فنادَى بأعلَى صوتِهِ: يَا أهلَ السُّوقِ؛ ذَاكَ مِيراثُ رَسولِ الله ﷺ يُقسَّمُ وَأنتُمْ هَهُنَا؟! ألاَ تذهَبُونَ فتأخُذُونَ نَصيبكُمْ مِنْهُ؟ فَقالُوا: وَأينَ هُوَ؟ قَالَ: في المَسجد. فَأسرَعَ النَّاسُ إلى المَسجِدِ، وَوَقَفَ أبو هُرَيْرَةَ يَنتظِرُهُمْ.

وبعدَ قَليلٍ، عادَ النَّاسُ إليه، وقَالُوا: يَا أَبا هُرَيْرةَ؛ قَدْ أتَينَا المَسجدَ، فلَمَّا دَخلنَاهُ لَمْ نَرَ شَيئاً يُقسَّمُ. فَسألَهُمْ: ومَا رأيتُمْ أحَداً في المَسجدِ؟ قَالُوا: وَجَدْنَا قوماً يُصلُّونَ، وقَوماً يقرَؤُونَ القُرآنَ، وقوماً يتذَاكَرُونَ الحلالَ والحرامَ. فقالَ أبو هُرَيْرةَ: ذاكَ مِيراثُ مُحمَّدٍ ﷺ. [الطبراني].

لاَ يَجوزُ لأَحدٍ أنْ يتَّخذَ المسجدَ طَرِيقاً للعُبورِ؛ إلاَّ لِضَرورةٍ، قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تتَّخِذُوا المساجِدَ طُرُقاً إلاَّ لِذِكرٍ أو صلاةٍ» [الطبراني].

قَصَصُ آدابِ المسَاجِدِ

المَساجدُ بُيوتُ اللهِ، وَهي خَيرُ بقاعِ الأرضِ، فِيهَا تَنزِلُ الرَّحمةُ والسَّكِينةُ، ويَعمُرُهَا المؤمِنونَ، قَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:١٨].

وقَدْ أعَدَّ اللهُ لزُوَّارِ المساجدِ أجراً عَظيماً، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ غدَا (ذهب) إلى المسَجدِ أو رَاحَ (عادَ منْهُ)، أعَدَّ اللهُ لَهُ في الجنَّةِ نُزُلاً (مكاناً جَميلاً) كلَّمَا غَدَا أو رَاحَ» [متفق عليه].

وَللمساجدِ في المجتمعِ الإسلاميِّ أهميَّةٌ كبيرةٌ، وَوظائفُ عَظيمةٌ؛ فَهِيَ أماكِنُ العِبادةِ، وتَلَقِّي العُلومِ. وَالإسلامُ يَحرَصُ على أن تظَلَّ مكانةُ المَسجِدِ سَاميةً، ولهذَا فَقَدْ وضَعَ آداباً وسلُوكيَّاتٍ لكُلِّ مَن يدخُلُ المسجِدَ، مِنْهَا: الهُدوءُ والسَّكِينةُ، وَالخُشوعُ، وَتنظِيفُ المسجِدِ، وتطييبُهُ.. وَغيرُ ذلكَ.

وَهذِهِ القِصصُ - التي قرأْنَاهَا - تجمَعُ لنَا الكثيرَ مِنَ الآدابِ الإسلاميَّةِ التي يَجِبُ أنْ يتَحلَّى بهَا المُسلِمُ داخِلَ المسجِدِ، وَيلتَزِمَ بهَا.

* * * * *

سلسلة قصص في الآداب

١ آداب الطعام والشراب
٢ آداب اللعب و المزاح
٣ آداب المساجد
٤ آداب العمل
٥ آداب النصيحة
٦ آداب التحية
٧ آداب الزيارة
٨ آداب العلم
٩ آداب الذكر
١٠ آداب الدعاء
١١ الأدب مع الله عز وجل
١٢ الأدب مع الرسول ﷺ
١٣ آداب الطهارة
١٤ آداب الكلام
١٥ آداب اللباس
١٦ آداب السفر و الطريق
١٧ آداب النوم
١٨ آداب الأعياد و الأفراح

٨١٠٠٥٥